doi.org/10.52866/esj.2020.08.16.01

آيات التضرع في القرآن الكريم – دراسة موضوعية

د. عمار جبار حسين
مديرية الوقف السني في سامراء

م.م. عثمان مهدي صالح
مديرية تربية صلاح الدين

المستخلص ..

يهدف البحث إلى بيان معنى التضرع وآدابه وأنواعه ومواطنه وتوضيح منهج القرآن الكريم في ذلك.

يتناول البحث مفردة التضرع في القرآن الكريم من خلال تتبعها في المواطن التي ذكرت فيها وبيان معناها اللغوي والاصطلاحي، وأنها لا تخرج عن معنى التذلل والانكسار بين يدي الله تعالى، ثم تطرق البحث إلى بيان أهمية التضرع وآدابه ومواضعه وانواعه.

ثم خُتِمَ البحث بذكر أهم النتائج، ومنها: التضرع أصل العبادات وجوهرها ولبها، فأيما عبادة من العبادات اقترنت بالتضرع فحري أن يقبلها الله تعالى، وأيما عبادة تجردت منها فقد فقدت روحها ولبها وخلت من مقصودها. وإن التضرع من أهم آداب الدعاء بل هو سر قبوله، والتضرع سبب في رفع البلاء والنجاة من عذاب الله. وهو كذلك سبب في نجاة الكافرين إذا أخلصوا التوحيد لله تعالى عند نزول الشدة بهم، وأفردوا له الطاعة، وأقروا بربوبيته، وتركوا آلهتهم.

الكلمات المفتاحية: التضرع، القرآن الكريم، آيات، الدعاء، دراسة موضوعية.

Supplication verses in the Holy Quran - an objective study

Ammar Jabbar Hussain
The Sunni Endowment Directorate in Samarra ,

Othman Mahdi Saleh
Salah al-Din Education Directorate

Abstract :

To clarify the meaning of supplication, its etiquette, types, and places, and clarifies the approach of the Holy Qur'an in that.

The research deals with the vocabulary of supplication in the Noble Qur'an by tracing it in the citizen in which it is mentioned and explaining its linguistic and idiomatic meaning and that it does not deviate from the meaning of humiliation and brokenness in the hands of Almighty Allah.

Then she concluded the research by mentioning the most important results, including: Supplication is the origin, essence and core of acts of worship, so any act of worship is associated with supplication, so it is better for God Almighty to accept it, and any worship that has been stripped of it, has lost its soul and its core and devoid of its purpose. And that supplication is one of the most important etiquette of supplication, rather than striving to accept it, and supplication is a reason to lift calamity and deliverance from the torment of God. It is also a reason for the unbelievers to survive if they are sincere monotheism to God Almighty when hardship descends in them.

Key words: supplication, the Holy Quran, verses, supplication, objective study.

المقدمة

الحمد لله الذي يتضرع إليه السائلون، ويلوذ بحماه الخائفون، حمداً يليق بخير المحمودين، ونشهد أن لا إله إلا الله ولي المؤمنين، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمام الموحدين.

أما بعد...

فإن التضرع والدعاء هو من أعظم ما شرع الله تعالى لعباده لما في ذلك من إثباتٍ لعبودية الله تعالى وإعلان الافتقار والحاجة إليه ، ولم يبلغ الأنبياء والصالحون والأولياء ما بلغوا إلا بخشوعهم وخضوعهم وتضرعهم لربهم ، وإن إظهار الفقر والمسكنة من أسباب جابة الدعاء، ولقد تحدث القرآن الكريم عن التضرع في أكثر من موضع فبين أنواعه وأهميته وصوره، ومن هنا جاء هذا البحث الموسوم (**آيات التضرع في القرآن الكريم – دراسة موضوعية**) ليسلط الضوء على الآيات التي ورد فيها لفظ التضرع مبينا تعريف التضرع وأهميته وآدابه ومواطنه وصوره.

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث فيما يلي:

أولاً: صلته بالقرآن الكريم ، وشرف كل شيء بما هو متعلق به.

ثانياً: التضرع أصل العبادات وجوهرها ولبها، فأيما عبادة من العبادات اقترنت بالتضرع فحري أن يقبلها الله تعالى، وأيما عبادة تجردت منها فقد فقدت روحها ولبها وخلت من مقصودها.

أهداف البحث:

أولاً : جمع الآيات التي تحدثت عن التضرع وتقسيمها إلى مباحث بحسب سياقها.

ثانياً : بيان كلام العلماء في معنى التضرع وما يتعلق به من آداب وأنواع وغيرها.

ثالثاً : لفت الأنظار إلى هذا العبادة المهجورة وبيان أهميتها وأنها سر قبول الأعمال واستجابة الدعوات.

رابعاً : بعد أن انشغل العالم بالأسباب المادية المحسوسة ونسوا أعظم عناصر القوة وأكبر أسباب التأييد وهو التضرع إلى الله تعالى صار لزاماً على الفطرة الإنسانية أن تستيقظ من سباتها لتعود إلى ربها خاشعة متضرعة.

الدراسات السابقة :

بعد البحث عن دراسات سابقة متعلقة بعنوان هذا البحث وجدنا دراسات قريبة منه إلا أنها تختلف في الأسلوب والمضمون، فقد أخذت في غالبها طابع الوعظ والخطب ولم تكن خاضعة لقواعد البحث العلمي، ومن تلك الدراسات:

1. التضرع إلى الله تعالى: الشيخ د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي .
2. التضرع إلى الله ، الأسباب ، الآثار ، العلاج : نواف بن عبيد الرعوجي.
3. التضرع إلى الله في المحن والشدائد : مجموع من محاضرات وخطب : محمد سعيد رسلان.

ما يميز هذا البحث : قام هذا البحث على منهج البحث العلمي في التفسير الموضوعي والمبني على تعريف اللفظ وبيان ماله له صلة به ثم تتبع الآيات الواردة في التضرع وبيان معناها وذكر انواع التضرع ومواطنه وآدابه واهميته إلى غير ذلك من التقسيمات التي أثرت موضوع هذا البحث.

منهج البحث:

نهجنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي حيث تتبعنا كل الآيات التي ورد فيها لفظ التضرع فيها وبينا المراد منها من خلال ما ذكره المفسرون في تأويلها.

خطة البحث:

– المبحث الأول: مفهوم التضرع والألفاظ ذات الصلة.

المطلب الأول: تعريف التضرع لغة واصطلاحاً.
المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة.
المطلب الثالث: لفظ التضرع في الاستعمال القرآني.
- المبحث الثاني: آداب التضرع وأهميته.
المطلب الأول: آداب التضرع.
المطلب الثاني: أهمية التضرع.
- المبحث الثالث: مواطن التضرع وأنواعه في القرآن الكريم.
المطلب الأول: مواطن التضرع.
المطلب الثاني: أنواع التضرع.
- الخاتمة والاستنتاجات.

المبحث الأول
مفهوم التضرع والألفاظ ذات الصلة

قبل كل شيء لا بد من بيان مفهوم التضرع والألفاظ ذات الصلة ، وهذا ما سنبينه في هذا المبحث، والذي ينقسم على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التضرع لغة واصطلاحاً

أولاً: التضرع لغة: مأخوذ من ضَرَعَ يَضْرَعُ بالفتح فيها ضراعة: خضع وذل.. وتَضَرَّعَ إلى الله اي ابتهل[1].

وفي لسان العرب: تضرع تذلل وتخشع وقوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ الأنعام: 43 ، فمعناه: تذللوا وخشعوا، ويقال: ضرع فلان إلى فلان وضَرِعَ له إذا ما تخشع له وسأله أن يعطيه، ويقال ضَرَعَ له واستضرعه والضارع المتذلل للغني[2].

وضرع إليه، يُثَلَّث ضرعاً محركة، وضراعة: خضع وذل واستكان، كفرح ومنع: تذلل فهو ضارع وتضرع إلى الله ابتهل وتذلل بطلب الحاجة[3].

(1) ينظر: مختار الصحاح ص403.
(2) ينظر: لسان العرب 8/ 221.
(3) ينظر: القاموس المحيط ص958.

ثانياً: التضرع اصطلاحاً: قال الفخر الرازي: ومعنى التضرع: التخشع، وهو عبارة عن الانقياد وترك التمرد، وأصله من الضراعة وهي الذلة... والمعنى أنه تعالى أعلم نبيه أنه قد أرسل قبله إلى أقوام بلغوا بالقسوة إلى أن أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا والمقصود منه التسلية للنبي ﷺ[4].

ثالثاً: الفرق بين الجؤار والتضرع: تعريف الجؤار: الجؤار كالخوار يقال: جأر الثور (يجأر جُؤاراً) أي صاح، وقرأ ابن مسعود: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ طه: 88 بالجيم[5]، وجَأَرَ إلى الله تضرع بالدعاء[6].

وقال العلامة الآلوسي في الفرق بين الجؤار والتضرع: (إن الجؤار هو مطلق الصراخ وهو غير الاستكانة والتضرع لله ﷻ، كما أن الجؤار هو ما لم يكن عن صميم الفؤاد وعبر الله ﷻ بلفظ المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ المؤمنون: 76 ، لإفادة الدوام، أي دوام النفي وليس نفي الدوام، وليس من عاداتهم التضرع إليه تعالى أصلاً)[7].

المطلب الثاني : الالفاظ ذات الصلة

هناك بعض الألفاظ ذات الصلة بلفظ التضرع، نذكرها على سبيل الإيجاز، وهي:

1. الابتهال لغة : (بهل) الباء والهاء واللام. أصول ثلاثة: أحدها التّخلية، والثاني جِنْسٌ من الدُّعَاء، والثالث قِلَّةٌ في الماء[8]، واصطلاحاً : أن تُمَدّ يدَيْك جميعا، وأصْلُه التَّضرُّع والمبالَغَة في السؤال[9].

(4) ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) 12/ 111.
(5) ينظر: المغني في القراءات 3/ 1240.
(6) ينظر: مختار الصحاح ص119.
(7) روح المعاني 18/ 56.
(8) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 1/ 310.
(9) النهاية في غريب الأثر 1/ 439.

2. الإخبات : الخَبْتُ هو المطمئن من الأرض فيه رمل، والإخبات الخشوع يقال: أخبت لله، وفيه خبتة، أي: تواضع[1]، واصطلاحاً: التخشع لله بالقلب بدوام الانكسار، ومن علامته الذبول تحت جريان المقادير بدوام الاستغاثة بالسر[2].
3. الإنابة : أناب : رجع مرة بعد أخرى ، ومنه النوبة، لتكرارها[3]، وفي لسان العرب : نابَ فلانٌ إلى اللهّ تعالى وأَنابَ إليه إنابةً فهو مُنِيبٌ أَقْبَلَ وتابَ ورجَع إلى الطاعة وقيل نابَ لَزِمَ الطاعة وأَنابَ تابَ ورجَعَ وفي حديث الدعاءِ وإِليك أَنَبْتُ الإِنابةُ الرجوعُ إلى اللهّ بالتَّوبة[4]، واصطلاحاً : المُنِيبُ إلى اللهَّ المُسْرِعُ إلى مَرْضَاتِهِ، الرَّاجِعُ إليه كُلَّ وَقْتٍ، المُتَقَدِّمُ إلى مُحَابِّهِ[5].
4. الرجاء لغة : الرجاء ممدود: نقيض اليأس[6]، واصطلاحاً : تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل[7].
5. الخشية لغة : الخوف: خشي الرجل يخشى خشية أي خاف[8]، واصطلاحاً : خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: 28 [9].

(1) الصحاح للجوهري 2/ 269.
(2) لطائف الإشارات = تفسير القشيري 2/ 130.
(3) تاج العروس من جواهر القاموس 4/ 316.
(4) لسان العرب 1/ 774.
(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 1/ 433.
(6) كتاب العين 6/ 176.
(7) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون 2/ 94.
(8) لسان العرب 14/ 228.
(9) المفردات في غريب القرآن ص 283.

المطلب الثالث: لفظ التضرع في الاستعمال القرآني

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	1	﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: 43
الفعل المضارع	3	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الأنعام: 42
المصدر	3	﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف: 55

المبحث الثاني
آداب التضرع وأهميته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آداب التضرع

آدابه هي:

الأول: حضور القلب وأن لا يكون ساهياً[10] فقد روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبه غافل لاه)**[11].

الثاني: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من الليل، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الذاريات: 18 [12].

(10) ينظر: الرسالة القشيرية في علم التصوف 2/ 424، الجامع لأحكام القرآن 2/ 311.
(11) سنن الترمذي 5/ 517، قال الألباني: حسن.
(12) ينظر: إحياء علوم الدين 1/ 304.

الثالث: أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وأوقات الصلاة والسجود[1].

الرابع: أن يدعو مستقبلاً القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطه[2].

الخامس: أن يتجنب الاعتداء في الدعاء، وللاعتداء في الدعاء صور، منها: رفع الصوت بالدعاء، والله عز وجلّ يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ الأعراف: 55 ، وأن يسأل لنفسه درجة ليس من أهلها؛ بأن يسأل درجة الأنبياء، وليس بنبي، ودرجة الشهداء، وليس بشهيد، وغير ذلك من صور الاعتداء في الدعاء[3].

السادس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء، فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرعٍ، والتكلفُ لا يناسبه[4].

السابع: الخشوع والرغبة والرهبة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ الأنبياء: 90.

الثامن: أن يجزم الدعاء ويوقن الإجابة ويصدق رجاؤه فيه، ليكون التضرع حاصلاً باللسان والجَنان، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له)**[5]، وعن أبي هريرة ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ: **(ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه)**[6].

التاسع: أن يلح بالدعاء ويكرره ثلاثاً، لقوله ﷺ: **(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي)**[7]، فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً فإنك تدعو كريماً.

العاشر: أن يفتتح الدعاء بذكر الله ﷻ والصلاة على النبي ﷺ [8].

الحادي عشر: وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة: التوبة ورد المظالم، والإقبال على الله ﷻ بكنه الهمة، فذلك هو السبب القريب في الإجابة[9].

الثاني عشر: أن يكون العبد ذليلاً منكسراً بين يدي مولاه فيشهد في نفسه ضرورة تامة، وافتقارًا تامًا إلى ربه وووليه، ومن بيده صلاحه وفلاحه، وهداه وسعادته ، فلا يرى نفسه إلا مفلساً، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والافلاس المحض[10].

الثالث عشر: أن يسجد العبد بقلبه لربه وهو خضوعه التام لمولاه ، (وقيل لسهل بن عبد الله التستري: أيسجد القلب؟ فقال: أي والله سجدة لا يرفع رأسه منها حتى يلقى الله)[11].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه 1/ 304.
(2) ينظر: المصدر نفسه 1/ 304.
(3) ينظر : تفسير السمعاني :2/ 189.
(4) ينظر: إحياء علوم الدين1/ 305.
(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له 5/ 2334 رقم الحديث (6339).
(6) سنن الترمذي ت : دكتور بشار – 5/ 394 قال عنه الدكتور بشار عواد : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه سمعت عباسا العنبري يقول : اكتبوا عن عبد الله بن معاوية الجمحي فإنه ثقة.
(7) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي 8/ 87 رقم الحديث (2735).
(8) ينظر: إحياء علوم الدين 1/ 307.
(9) ينظر: المصدر نفسه 1/ 307.
(10) ينظر : الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم : 7.
(11) الفتاوى الكبرى لابن تيمية :1/ 357.

ويشترط في الدعاء أن يكون مطعم الداعي حلالاً، فقد قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص **(يا سعد أطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد يقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يقبل منه العمل أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به)**[1]، وقال سهل التستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال[2].

وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقات فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طال في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع وأجنحة الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على النبي محمد ﷺ[3].

المطلب الثاني: أهمية التضرع

تكمن أهمية التضرع في جملة من الأمور، أهمها:

1. أمر الله ﷻ بالتضرع إليه عند ذكره فقال: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ الأعراف: 55، يقول الأوزاعي -رحمه الله-: «أفضل الدعاء الإلحاح على الله -عز وجل- والتضرع إليه»[4] وأمر سبحانه بالتضرع إليه عند ذكره فقال: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةً﴾ الأعراف: 205 ، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية التضرع ومكانته عند الله تعالى.
2. التضرع سبب في رفع البلاء: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ الأنعام: 63 - 64، فإنهم لما دعوا الله متضرعين أنجاهم ورفع عنهم البلاء.
3. التضرع سبب للنجاة من عذاب الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ الأنعام: 42 - 43، يقول السمرقندي في تفسير هذه الآية (يعني: أنهم لو آمنوا لدفع عنهم العذاب، ولكن أصروا على ذلك فذاك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ الأنعام: 43 ، يعني: جفّت ويبست قلوبهم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ من عبادتهم الأصنام)[5].
4. اذا تضرع العبد إلى ربه فإنه بذلك يعلن افتقاره وحاجته إليه وإفراده له سبحانه بالعبودية وهو المقصود، لأن الله ﷻ يفرح بالعبد المتضرع الذي يعلن العجز أمام خالقه سبحانه قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إليّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفْردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليّ بالإنابة[6].

المبحث الثالث

مواطن التضرع وأنواعه في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مواطن التضرع

أولاً : التضرع في البأساء والضراء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

(1) مجمع الزوائد 114، وتفسير القرطبي 2/ 311.
(2) ينظر: الجامع لإحكام القرآن 2/ 311.
(3) ينظر: الجامع لإحكام القرآن 2/ 311.
(4) شعب الايمان : 2/ 346.
(5) تفسير السمرقندي بحر العلوم :1/ 447.
(6) تفسير الطبري = جامع البيان 11/ 355.

الأنعام: 42 – 43 ، قال الطبري: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلي ويخلصوا لي بالعبادة ويفردوا رغبتهم إلي دون غيري بالتذلل والاستكانة منهم إلي بالإنابة)[1].

وقال أبو حيان الأندلسي: (هذا تسلية للرسول ﷺ وإن عادة الأمم مع رسلهم التكذيب والمبالغة في قسوة القلب، حتى إذا هم أخذوا بالبلايا لا يتذللون لله ولا يسألونه كشفها، وهؤلاء الأمم الذين بعث الله تعالى لهم الرسل أبلغ انحرافاً وأشد وأجلد من الذين بعث إليهم رسول ﷺ إذ خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الأنعام: 40... الآية وأخبرهم أنهم عند الأزمات لا يدعون لكشفها إلا الله تعالى)[2].

وقال البغوي: (لعلهم يتضرعون، أي يتوبون ويخضعون، والتضرع: السؤال بالتذلل)[3].

وقال الزمخشري: (لعلهم يتضرعون: يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم)[4].

وفي موضع آخر يقول ﷻ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الأنعام: 63.

قال أبو حيان في تفسير هذه الآية: ((تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا أي تنادونه مظهري الحاجة إليه ومخفيها، والتضرع وصف حاد على الإنسان والخفية: الإخفاء))[5].

ويقول سيد قطب في تفسيره: ((وحيثما وقع الناس في ظلمة من ظلمات البر والبحر لم يجدوا في أنفسهم إلا الله يدعونه متضرعين أو يناجونه صامتين.. إن الفطرة تتعرى حينئذ من الركام فتواجه الحقيقة الكامنة في أعماقها حقيقية الألوهية الواحدة وتتجه إلى الله الحق بلا شريك لأنها تدرك حينئذ سخافة فكرة الشرك وتدرك انعدام الشريك))[6].

وقال الصابوني: ((تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً أي تدعون ربكم عند معاينة هذه الأهوال مخلصين له هذا الدعاء مظهرين الضراعة تضرعاً بألسنتكم وخفية في أنفسكم))[7].

وقال تعالى في موضع آخر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ الأعراف: 94.

قال الطبري: («لعلهم يضرعون» يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلى ربهم ويستكينوا إليه وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم)[8].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى مخبراً عما أخبر به الأمم الماضية الذين أرسل إليهم الأنبياء بالبأساء ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام والضراء ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: يدعون لعلهم يخشعون ويبتهلون إلى الله في كشف ما نزل بهم، وتقدير الكلام أنه ابتلاء بالشدة لتضرعوا، فما فعلوا شيئاً من الذي أراد منهم فقلب عليهم الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه)[9].

وقال سيد قطب: (وليس للعبث – تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً – أن يأخذ عباده بالشدة في أنفسهم وأبدانهم وأموالهم وليس لرواء غلة ولا شفاء حنة إنما يأخذ الله المكذبين بالبأساء والضراء؛ لأن من طبيعة

(1) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن 11/ 355.
(2) تفسير البحر المحيط 4/ 130.
(3) ينظر معالم التنزيل 3/ 143.
(4) الكشاف 2/ 23.
(5) البحر المحيط 4/ 154.
(6) في ظلال القرآن 2/ 1124.
(7) صفوة التفاسير 1/ 367.
(8) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 11/ 355.
(9) تفسير القرآن العظيم 3/ 449.

الابتلاء بالشدة أن يوقظ الفطرة وأن يرقق القلوب وأن يتجه بالبشر الضعاف إلى خالقهم القهار يتضرعون إليه ويطلبون رحمته وعفوه ويعلنون عبوديتهم له وتضرع العباد إنما يصلحهم هم ويصلح حياتهم ومعاشهم)[1].

قال الصابوني في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: (أي كي يتضرعوا ويخضعوا ويتوبوا من ذنوبهم)[2].

الخلاصة: أن الله تعالى أرسل الرسل إلى الأمم السابقة فلم يؤمنوا بهم ولم ينقادوا لأوامرهم فكانوا لرسلهم مكذبين ولشريعتهم جاحدين فابتلاهم الله ﷻ بالفقر والأمراض رحمة بهم ليرجعوا إلى جادة الحق وطريق الهداية ويتضرعوا إلى الله ﷻ ليرفع عنهم ما نزل بهم فلم يحصل التضرع منهم عتواً واستكباراً مع وجود الداعي لذلك، وهو شدة الفقر والمرض وفي هذه الآيات تسلية لقلب النبي ﷺ إذ إن عادة الأمم مع رسلهم التكذيب.

ثانياً : التضرع عند نزول العذاب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ المؤمنون: 76.

قال الطبري في تفسير هذه الآية ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ يقول: (فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه وينيبوا إلى طاعته ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ يقول: ما يتذللون له، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حين أخذ الله قريشاً بسني الجدب إذ دعا عليهم رسول الله ﷺ)[3].

وجاء في تفسير روح البيان: (فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع لربهم ومضوا العتو والاستكبار، والاستكانة: الخضوع والذلة والتضرع: إظهار الضراعة أي الضعف والذلة)[4].

قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ المؤمنون: 76 (وهذه صفة عامة لذلك الصنف من الناس القاسية قلوبهم الغافلين عن الله، المكذبين بالآخرة ومنهم المشركون الذين كانوا يواجهون رسول الله ﷺ، والاستكانة والتضرع عند مس الضر دليل على الرجوع إلى الله والشعور بأنه الملجأ والملاذ، والقلب متى اتصل بالله على هذا السمو رق ولان واستيقظ وتذكر، وكانت هذه الحساسية هي الحارس الوافي من الغفلة والزلل وأفاد من المحنة وانتفاع بالبلاء فإما حين يسدر في غيه ويعمى في ضلاله فهو ميؤوس منه لا يرجى له صلاح وهو متروك لعذاب الآخرة الذي يفاجئه فيسقط في يده وليلبس ويحتال ويبأس من الخلاص)[5].

قال الصابوني في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ المؤمنون: 76: (أي وما دعوا ربهم لكشف البلاء بل استمروا على العتو والاستكبار والغرض أنه لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي ولا الالتجاء إلى الله في المستقبل لشدة جبروتهم وطغيانهم)[6].

ثالثاً : التضرع عند الدعاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف: 55.

يقول ابن عادل الحنبلي في تفسير هذه الآية : ولأنَّ رفع الصوت مشعرٌ بالقوَّة والجلادةِ، وإخفاءُ الصوت مشعرٌ بالضعف والانكسار، وعمدة الدُّعاء الانكسار والتبرِّي عن حول النَّفس وقوَّتها، والاعتمادُ

(1) في ظلال القرآن3/ 1336و1337.
(2) صفوة التفاسير 427.
(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 19/ 60 وأسباب نزول القرآن 314.
(4) روح البيان 6/ 70.
(5) في ظلال القرآن 4/ 2476.
(6) صفوة التفاسير 290.

على فضل الله تعالى وإحسانه[1].

وقال أبو زهرة : ادعوا ربكم: اعبدوه، فالدعاء هو مخ العبادة. فادعوه وحده؛ لأنه ربكم الذي خلقكم، والقائم على أموركم، ولا تدعوا معه أحداً، فادعوه تضرعاً، أي متضرعين خاضعين لله سبحانه، وقوله: (وخُفية) أي في خفاء غير مجاهرين، ولا معلنين، لأن الإعلان قد يصحبه رياء، والله تعالى لَا يقبل الدعاء إلا أن يكون له وحده، فالعبادة له ﷻ وحده لا يشاركه فيها أحد غيره[2].

وقال سيد قطب ((إنه التوجيه في أنسب حالة نفسية صالحة إلى الدعاء والإنابة تضرعاً وتذللاً وخفية لا صياحاً وتصدية، فالتضرع الخفي أنسب وأليق بجلال الله ويقرب الصلة بين العبد ومولاه))[3].

والظاهر أن الدعاء هو مناجاة الله تعالى بندائه لطلب اشياء ولدفع اشياء، وانتصب تضرعا وخفية على الحال: أي متضرعين ومخفين أو ذوي تضرع واختفاء في دعائكم[4].

وفي الحديث: (**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**)[5].

رابعاً: التضرع عند الذكر: قال تعالى: ﴿**وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ**﴾ الأعراف: 205.

قال ابن كثير في تفسيره: ((﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة، وبالقول لا جهراً ولهذا قال: «ودون الجهر من القول « وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا نداءً ولا جهراً بليغاً، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: 186))[6].

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال لهم ﷺ : (**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده**)[7].

وجاء في تفسير الجلالين في تفسير هذه الآية: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾ تذللاً، ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه وفوق السر، ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما، ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره، ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن ذكر الله[8].

المطلب الثاني : أنواع التضرع

أولاً : تضرع الأنبياء:

إن تضرع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ودعاءهم لربهم سمة بارزة في سيرتهم العطرة ، ولقد خلد القرآن الكريم الكثير من تلك الصور ، ولنا في سيرة الأنبياء والمرسلين أسوة حسنة ولنا فيها الدروس والعبر ، وفيما يلي نستعرض صوراً من تضرع الأنبياء عليهم السلام.

1. تضرع نوح عليه السلام : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ

(1) اللباب في علوم الكتاب 13/ 29.
(2) ينظر : زهرة التفاسير 6/ 2865.
(3) في ظلال القرآن 3/ 1298.
(4) ينظر: البحر المحيط 4/ 312.
(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر 8/ 73 و7037، رقم الحديث (2704).
(6) تفسير القرآن العظيم 3/ 538-539 وفي ظلال القرآن 3/ 354.
(7) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يُكره من رفع الصوت في التكبير 3/ 1090 و2830، رقم الحديث (2992).
(8) ينظر: تفسير الجلالين 1/ 226.

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ القمر: 9 - 14.

لقد دعا نوح عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فكان صابراً محتسباً مجاهداً ، راغباً في هدايتهم ، وسلك معهم كل الطرق والوسائل ، فرغبهم وخوفهم ، فكان جزاء قومه له أن كذبوه وآذوه بشتى الوسائل والطرق ، فبعد أن تيقن بعد إيمانهم توجه إلى الله تعالى ضارعاً متوسلاً لينجيه الله تعالى من شرورهم.

فدعا نوح ربه قائلاً إن قومي قد غلبوني لتمردهم وعتوهم، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك، وقصارى ذلك- انتصر لك ولدينك، فإني قد غلبت وعجزت عن الانتصار لهما ، ثم أخبر سبحانه أنه قد أجاب دعاءه فقال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي فصببنا عليهم ماء ثجاجا من السماء، وتقول العرب فى المطر الوابل: جرت ميازيب السماء. روى أنهم طلبوا المطر سنين فأهلكهم الله بما طلبوا[1].

2. **تضرع أيوب عليه السلام** : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ الأنبياء: 83 - 84.

يخبرنا الله ﷻ من خلال هذه الآيات البينات عن أيوب عليه السلام وكيف أنه ابتلاه بمختلف الابتلاءات في جسده وماله وولده ، فلما طال عليه الأمر واشتد به الحال توجه إلى ربه ضارعاً فقال : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآيات: (يذكر تعالى عن أيوب، عليه السلام، وما أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده ، قد كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده – ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عز وجل، فعافه الناس، ورفضه القريب والبعيد، زلم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بخدمته ورعايته ، حتى انها كانت تخدم الناس من أجله)[2].

فجاءت الإجابة من السميع العليم حيث قال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ فقام فإذا بحاله قد تبدل ، فكشف الله عنه كربه وآتاه من الأهل والمالِ أضعاف ما كان يملك ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ ثم إن امرأته قالت في نفسها هبْ أنه طردني أفأترُكه حتى يموتَ جوعا ويأكله السباع لأرجِعنّ إليه فلما رجعت ما رأت تلك الكُناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الأمورُ فطافت حيث كانت الكُناسة وهي تبكي فهابت صاحبَ الحُلة أن تأتيَه وتسألَ عنه فأرسل إليها أيوبُ ودعاها فقال ما تريدين يا أمةَ الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان ملقًى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعْلي قال أتعرفينه إذا رأيتِه قالت وهل يخفى عليّ فتبسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقتْه[3].

3. **تضرع زكريا عليه السلام** : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا

(1) تفسير المراغي 27/ 82.

(2) ينظر : تفسير ابن كثير 5/ 359.

(3) ينظر : تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 6/ 81- 82.

وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ الأنبياء: 89– 90.

لقد نادى زكريا ربه متضرعاً ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ وحيداً لا ولد لي ولا عقب، يقول: فارزقني وارثاً من آل يعقوب يرثني، ثم ردّ الأمر إلى الله فقال وأنت خير الوارثين، فاستجاب ربنا سبحانه لدعاء زكريا، ووهب له يحيى ولداً ووارثاً يرثه، وأصلح له زوجه[1].

وقال الآلوسي في تفسير هذه الآيات ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ مثل هذه العبارة من العبد للسيد تضرع ودعاء لا نهى أي هب لي ولداً ولا تدعني وحيداً بلا ولد يرثني لما بلغ عمر زكريا عليه السلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعاً وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب أن يرزقه الله من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه ويكون قائماً مقامه بعد موته فدعا ثم رد الأمر إلى مولاه مستسلماً ومنقاداً لمشيته فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ خير من يبقى بعد من يموت فحسبي أنت إن لم ترزقني وارثاً فهو ثناء على الله تعالى بأنه الباقي بعد فناء الخلق وله ميراث السموات والأرض فَاسْتَجَبْنا لَهُ)[2].

4. **تضرع سيدنا محمد ﷺ** : إن الناظر في سيرة النبي ﷺ يرى بوضوح صوراً كثيرة من دعائه ﷺ وتضرعه لربه في كل أحواله ولكنها أشد في الكروب والأزمات وعند اشتداد الخطوب في الحروب والغزوات حتى أن الصحابة ﷺ كانوا يشفقون عليه من شدة ما يرون منه في مثل هذه المواقف ولعل ما حدث في غزوة بدر خير شاهد على ذلك فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه قال: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ الأنفال: 9 ، فأمده الله بالملائكة.

قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (صدقت ذلك مدد السماء الثالثة) فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين)[3].

ثانياً: تضرع المؤمنين:

إذا استعرضنا سيرة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من سلف هذه الامة نجد أن التضرع سمة بارزة في حياتهم، ونذكر هنا في هذا المقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة فبعد أن اجتهد بالأخذ بالأسباب المادية لحل هذه المشكلة التي واجهت الدولة من خلال عدة تدابير قام بها وأخذ يشرف على إطعام الناس بنفسه، فبعد ذلك كله

(1) ينظر : تفسير الطبري = جامع البيان 18/ 520.
(2) روح البيان 5/ 519.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم 3/ 1383، رقم الحديث (1763).

توجه إلى الله متضرعاً خاشعاً ليكشف عنهم البلاء، يروي ذلك ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول : كان عمر بن الخطاب أحدث في زمان الرمادة أمراً ما كان يفعله، لقد كان يصلي بالناس بالعشاء ثم يخرج متى يدخل بيته فلا يزال يصلي حتى يكون آخر الليل، ثم يخرج فيأتي الأنقاب فيطوف عليه وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي[1].

ولقد ذكر القرآن الكريم لنا جملة من صفات المؤمنين ومنها خشوعهم وتضرعهم لربهم بأن يصرف عنهم عذاب جهنم فقال : ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ الفرقان: 65.

فكانوا يجتهدون غاية الاجتهاد، ويستفرغون نهاية الوسع، وعند السؤال ينزلون منزلة العصاة، ويقفون موقف أهل الاعتذار، ويخاطبون بلسان التنصّل[2].

ولقد توقعوا النار وأيقنوا بعذابها ، وعملوا ما يجنبهم إياها، ولكنهم موقنون بأن أعمالهم لا تنجيهم لوحدها ، فضرعوا إلى ربهم أن يصرفها عنهم عالمين أن الجنة من محض فضل الله ، وليست بعمل عملوه ولكن برضى من الله عما عملوه ، والتعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ﴾ يفيد أن هذا حال ملازمة لهم يكررونها دائماً، بالخضوع والخشوع والحذر الدائم المستمر ، فهم في حذر دائم مستمر، فيكونون مع الله بحذرهم لا يفترون[3].

ثالثاً: تضرع الكافرين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ لقمان: 32.

عندما ركب المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فأخلصوا التوحيد لله تعالى عند نزول الشدة بهم، وأفردوا له الطاعة، وأقروا بربوبيته، وتركوا آلهتهم، (فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ) أي: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم، فصاروا إلى البرّ، عادوا إلى ما كانوا عليه من كفرهم وتكذيبهم وجعلوا مع الله شريكاً في عبادتهم[4].

كذلك من شاهد نفسه على شفا الهلاك والغرق، والتجأ إلى صدق الاستعانة ودوام الاستغاثة فعند ذلك يحميه الحقّ سبحانه من مخلوقات التقدير[5].

قال ابن القيم رحمه الله : (التَّوْحِيد مفزع أعدائه وأوليائه فَأَما أعداؤه فينجيهم من كرب الدُّنْيَا وشدائدها: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ العنكبوت: 65 وَأما أولياؤه فينجيهم بِهِ من كربات الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وشدائدها وَلذَلِك فزع إِلَيْهِ يُونُس فنجّاه الله من تِلْكَ الظُّلُمَات وفزع إِلَيْهِ أَتبَاع الرُّسُل فنجوا بِهِ مِمَّا عذب بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أعد لَهُم فِي الْآخِرَة وَلما فزع إِلَيْهِ فِرْعَوْن عِنْد مُعَاينَة الْهَلَاك وَإِدْرَاك الْغَرق لَهُ لم يَنْفَعهُ لِأَن الْإِيمَان عِنْد المعاينة لَا يقبل هَذِه سنة الله فِي عباده فَمَا دفعت شَدَائِد الدُّنْيَا بِمثل التَّوْحِيد وَلذَلِك كَانَ دُعَاء الكرب بِالتَّوْحِيدِ ودعوة ذِي النُّون الَّتِي مَا دَعَا بهَا مكروب إِلَّا فرّج الله كربه بِالتَّوْحِيدِ فَلَا يلقى فِي الكرب الْعِظَام إِلَّا الشّرك وَلَا يُنجي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيد فَهُوَ مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها وَبِاللَّهِ

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد 3/ 312.
(2) لطائف الإشارات = تفسير القشيري 2/ 649.
(3) ينظر : زهرة التفاسير ص 5314.
(4) ينظر : تفسير الطبري = جامع البيان 20/ 60.
(5) لطائف الإشارات 2/ 574.

التَّوْفِيق)[1].

الخاتمة والاستنتاجات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من بعثه ربه بالآيات المبينات وبعد:

فبعد هذا الاستعراض لنصوص(التضرع) في القرآن الكريم ومعرفة دلالاتها خلص البحث إلى النتائج الآتية:

1. عرف العلماء التضرع بأنه: عبارة عن الانقياد وترك التمرد، وأصل الضراعة من الذلة.
2. التضرع أصل العبادات وجوهرها ولبها، فأيما عبادة من العبادات اقترنت بالتضرع فحري أن يقبلها الله تعالى، وأيما عبادة تجردت منها فقد فقدت روحها ولبها وخلت من مقصودها.
3. التضرع من أهم آداب الدعاء بل هو سر قبوله.
4. التضرع سبب في رفع البلاء والنجاة من عذاب الله.
5. ذكر القرآن الكريم لنا تضرع الأنبياء والمرسلين لرفع البلاء عنهم؛ لنقتدي بهم ونسير على خطاهم.
6. يعاتب الله تعالى المؤمنين عند تركهم التضرع والدعاء لما في ذلك من جفاء العبد لربه.
7. التضرع سبب في نجاة الكافرين اذا أخلصوا التوحيد لله تعالى عند نزول الشدة بهم، وأفردوا له الطاعة، وأقروا بربوبيته، وتركوا آلهتهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(1) الفوائد لابن القيم : 53

المصادر

- القرآن الكريم.
- إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ)، دار المعرفة – بيروت.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى 982هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- أسباب نزول القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (468هـ) تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية 1412هـ – 1992م.
- بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي المتوفى 373هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، للإمام محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبي الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1422 هـ– 2001م.
- تفسير الجلالين: للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الحديث – القاهرة ،الطبعة الأولى.
- تفسير القرآن العظيم: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تح: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة : الثانية 1420هـ – 1999 م.
- تفسير القرآن: للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم

وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن – الرياض ، سنة النشر 1418 هـ– 1997 م.
- تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن): للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671 هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423 هـ/ 2003م.
- تفسير روح البيان: لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- جامع البيان عن تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310 هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ، 1420 هـ – 2000 م.
- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، للإمام القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري ، ترجم عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – 1421 هـ – 2000 م الطبعة : الأولى.
- الرسالة القشيرية: عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (465هـ) تحقيق: الدكتور عبدالحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف – القاهرة.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت 1270 هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- زهرة التفاسير، للإمام أحمد بن مصطفى المراغي المتوفى 1371 هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1365 هـ 1946 م .
- سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي (ت 279 هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- شعب الإيمان ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1410 .
- صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت 256 هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987 .
- صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261هـ)، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.
- صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى ، 1417 هـ = 1997 م.
- الطبقات الكبرى، للإمام محمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري، دار صادر – بيروت.
- الفتاوى الكبرى، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تح: محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية الطبعة : الطبعة الأولى 1408 هـ – 1987 م.
- في ظلال القرآن: تأليف سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (1385 هـ)، دار السلام – بيروت – القاهرة، الطبعة السابعة عشر 1412 هـ.
- القاموس المحيط: لأبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة 1426 هـ – 2005 م.
- كتاب العين للإمام أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- اللباب في شرح الكتاب ، للإمام عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني ، تح: محمود أمين النواوي ، دار الكتاب العربي.
- لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت 711هـ)، دار صادر – بيروت.
- لطائف الإشارات ، للإمام عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري المتوفى 465هـ ، تح: إبراهيم البسيوني ، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت – 1412 هـ.
- مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت 666هـ) تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، 1415 – 1995 .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، تح: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي – بيروت.
- معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516 هـ) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ، 1417 هـ – 1997م.
- معجم مقاييس اللغة للإمام أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، الطبعة : 1399هـ – 1979م.
- المغني في القراءات: لمحمد بن أبي نصر بن احمد الدهان النوزاوازي، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسى الشنقيطي، الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم وعلومه (تبيان) الطبعة الأولى، 1439هـ – 2018م.
- مفاتيح الغيب: للإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت 606هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1421هـ – 2000 م .
- المفردات في غريب القرآن ، للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة لبنان.
- النهاية في غريب الأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني ابن الاثير المتوفى 606هـ ، تح: محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت 1399هـ – 1979م.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب: للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله ، تح: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1405 – 1985 .